

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي آثاره العلمية والدعوية

الجزء الثاني

الأربعاء والخميس
١٤٤١-٢٤-٢٣ ربيع الأول



(07)
السعدي والقصيمي والتنزيه من الأغلال حوار أحدى
ولقاء لم يتم
د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي

الرعاية

مصرف الإنماء
alinma bank



المكتبة
الفنية
الملكية



سيكيم
Sipchem
EXCELLENCE everywhere

السعدي والقصيمي و«التنزيه» من «الأغلال»

حوار أحادي ولقاء لم يتم

د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي

قطاع خاص

مدخل

يفصل الشيخ عبدالله القصيمي عن الشيخ عبدالرحمن السعدي ثمانى عشرة سنة في الولادة تقدم بها السعدي ١٨٨٩ م على القصيمي ١٩٠٧ م، وتتأخر القصيمي في وفاته ثمانية وثلاثين عاماً (السعدي ١٩٥٧ م / القصيمي ١٩٩٥ م)، وهو ما يعني تقاربهما عمراً، وإن امتدت حياة القصيمي حتى اثنين وتسعين عاماً ميلادياً، في حين توفي السعدي عن ثمانية وستين عاماً ميلادياً، والدلالة هنا مهمة في تثبيت موقف القصيمي، من طرحة التحولي في كتابه (هذا هي الأغلال) الصادر عام ١٩٤٦ م أي قبل وفاة السعدي بإحدى عشرة سنة حيث بقي كتاب الأغلال دون أن ينقضه القصيمي أو يتراجع عنه وإن لاذ بصمت تأليفه سبعة عشر عاماً أصدر بعدها مجلدين ضمّاً عدداً من كتبه وهي: «العالم ليس عقلاً» عام ١٩٦٣ م وتبعه المجلد الثاني عام ١٩٦٧ م وفيه ثلاثة كتب: «عاشق لعار التاريخ» و«صحراء بلا أبعاد» و«أيها العقل من رأك»، وفيها تجاوز لمرحلة «الأغلال» بصورة جلية نأت به عن موقف المجتهد الذي يبغى «خدمة الحق وأمته العزيزة» - كما كتب في الأغلال - ويأمل أن يشفع له ذلك في اجتهاده لدى من يخالفه «في بعض المسائل والشروط والتفاصيل» مؤكداً أنه «مؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر» وختمه بأن الله هو «المؤول أن يلهم الصواب والحكمة، وأن يعين على بلوغ الغرض المنشود، وألا يجعل العمل باطلأ ولا الجهد ذاهباً»^(١).

ولد السعدي في عنيزة، وقرباً منه ولد القصيمي في «خب الحلوة»، غرب بريدة، وكلا المكانين في منطقة القصيم، وبينهما أقل من ثلاثين كيلومتراً، وحيث هاجر الفتى عبدالله القصيمي مبكراً فلما يلتقي بالشيخ عبدالرحمن السعدي في

(١) ص ٣٥٣ واحتواها الغلاف الأخير.

القصیم^(۱)، ولم یؤثر أن السعید قد کاتب القصیمی في مرحلته الإیمانیة الأولى التي أصدر خلالها کتاباً في الدفاع عن السلفیة، مثلما لم یر الباحث ذکر السعید فيما اطلع عليه من تألیف القصیمی، وهو ما يجعل دراسة العلاقة بینهما محصورة في كتاب (هذا هي الأغلال) للقصیمی وكتاب : (تنزیه الدین وحملته ورجاله مما افتراه القصیمی في أغلاله) للسعید، وهذا لا ینفي معرفتهما ببعضهما، وقد أشار الشیخ السعید إلى اطلاعه على کتب القصیمی المتقدمة على كتابه التحولی الجدلی الذي تبحث فيه الورقة.

كيف عرف السعید عن کتاب القصیمی؟

لم یوثق الشیخ كيفية وصول کتاب (هذا هي الأغلال) إليه؛ إذ اكتفى في مقدمة كتابه (تنزیه الدین وحملته ورجاله مما افتراه القصیمی في أغلاله) - بالإشارة إلى أنه «وقف على كتاب صنفه عبدالله بن علي القصیمی سماه ...» ، وفي رواية شفهیة لسبط الشیخ (الأستاذ مساعد بن عبدالله السعید)^(۲) ما یرجح بعث الكتاب إلى السعید من مکة المکرمة عن طريق تلميذه الشیخ عبدالله بن محمد العوھلي (۱۳۲۵-۱۴۰۸ھ)، وكان وصوله إليه بتاريخ ۱۳۶۵/۱۵/۱۰ھ (۱۰/۱۱/۱۹۴۶م) بهدف الاطلاع عليه مع الإیحاء إليه بالرد، ووُجد في نسخة السعید المحفوظة من کتاب القصیمی تهمیشات بخط يده، وفيها ما یرجح نية الشیخ في الإجابة والمحاجة، ولو كان للقراءة المجردة لاكتفى بتصفحه وإهماله، أو وضع صيغة عامة على طرة الكتاب تحذر منه كما اتضحت في هدف تأليفه الكتاب استقاءً من مقدمته، فليس مرجعاً یحتاج إليه کي یضع تعليقاته التي شملت معظم

(۱) غادر القصیمی خب الحلوة وهو في العاشرة من عمره إلى الرياض ثم لحق بوالده في الشارقة.

(۲) ستصدر في كتاب وفق إیضاح أ. مساعد.

صفحات الكتاب من ص ١٤ حتى ص ٣٢٨، وتأكد هذا رسالته إلى تلميذه الشیخ
عبدالله بن عبدالعزيز بن عقیل (١٤٣٢ - ١٣٣٤ھ) الذي كتب:

«إنه سيعث إليه من مكة بنسخة من الكتاب» فأجابه أنه «قد اطلع عليه...»،
وتحمة إشارة أخرى في «الرسالة التحذيرية من الكتاب» ضمنها رجاءً للحكومة بـ «
منع الصارم لتسرب نسخ هذا الكتاب للمملكة» ص ٢٣١، وهو ما يوثق وصول
الكتاب إلى الشیخ بصورة خاصة ولهدف محدد وهو الرد.^(١)

ماذا رد السعدي على القصيمي؟

من يتبع كتابات الشیخ السعدي رحمه الله ورسائله يلاحظ اللغة الهاðة التي
تعتمر معانٰها ومبانيها، وكثيراً ما تدخل الشیخ لحل قضايا بدت شائكة ومتتشابكة
فانتهت بهدوئه وحكمته، وهو ما سعى إليه في كتابه هذا دون أن نغفل الأسلوب
الحادي الغاضب الذي اتسمت به محتوياته؛ فأنصف تاريخ القصيمي السابق، وقال
عنه: إنه كان «معروفاً بالعلم والإنحياز لمذهب السلف الصالح وكانت تصانيفه
السابقة مشحونةً بنصر الحق والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند
الناس مقام وسمعة حسنة ...»^(٢) وبعدما كان في كتبه السابقة معدوداً من أنصار
الحق انقلب في كتابه هذا ...».

(١) طبع كتاب التنزيه في نسخة الأولى على نفقة الشیخ محمد نصيف عن طريق دار إحياء الكتب
العربية لصاحبه عيسى البابي الحلبي وشرکاه في مصر عام ١٣٦٦ھ في ٤٨ صفحة.
ماتزال نسخة الشیخ من كتاب الأغلال محفوظة لدى سبطه الأستاذ مساعد العبدالله السعدي وهي ملأى
بتعلیقات الشیخ، وبالرغم من تحذيره من الكتاب فلم يتلفه وبقي في مكتبه حتى وصل إلى سبطه.
الأجوبة النافعة على المسائل الواقعة ١٥١ - ١٨٣.

(٢) ص ١٦٣.

ويلاحظ في تقادمه كتابه «التنزيه» اقتناعُ الشيخ السعدي بأن كتاب الأغلال قد تَسخن وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً^(١)، مثلما لم يُخفِ مفاجأته من هذا التحول الذي «أرَاعَ النَّاسَ»، ولم يشأ التفصيل في الأسباب التي دفعت القصيمي للتَّحول، وإن عدَّ منها الظنون التي تداولها الناس وتدلّ عليها القرائن: «إِرْتَشَاوَهُ
مِنْ بَعْضِ جَهَاتِ الدِّعَائِيَّةِ الْأَجْنِيَّةِ غَيْرِ الدِّينِيَّةِ»، أما ما حدا بالشيخ لنقض منطق القصيمي في أغلاله فهو «وَاجِبٌ رَآهُ عَلَى كُلِّ مَنْ عَنْهُ عِلْمٌ أَنْ يَبْيَّنَ مَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ
كَتَابَهُ مِنَ الْعَظَائِمِ، خَشْيَةً لِغَرْتَارٍ مَنْ لَيْسَ لَهُ بَصِيرَةٌ بِكَلَامِهِ» وَعِزَادُلُكَ إِلَى مَا عُرِفَ
عَنِ القصيمي مِنْ اتِّجَاهٍ مُخْتَلِّفٍ قَبْلَهُ «مَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ الْانْقِلَابِ»^(٢).

وقد أوضح السعدي أنماط مستقبلية لكتاب الأغلال بثلاثة لا خوف على اثنين منهم وهما:

من له بصيرة ومعرفة وتفريق بين الحق والباطل ومعرفة بحقيقة الدين، ومن وقف على كتبه السابقة، ثم على كتابه هذا ورأى ما فيها من الاضطراب والتناقض والتضارب وعدم الاستقرار، أما النمط الثالث الذي توجه إليه الكتاب -كما أوضح السعدي- فهم الذين لا بصيرة لهم يميزون بها بين الحق والباطل ولا وقوا على تناقضه وعدم استقراره على رأي واحد فإنهم - كما كتب السعدي - يُخشى عليهم من الاغترار بكلامه لأنهم يسمعون عبارات مزخرفة واستدلالات مموهة.. الخ^(٣).

وأكَدَ أَنَّ الْكِتَابَ أَكْبَرَ دِعَائِيَّةً لِلْإِلْحَادِ، وَمَقَاوِمَةَ الدِّينِ وَأَهْلِهِ، وَفِيهِ مِنَ الْبَهْرَةِ

(١) نقل الأستاذ عبدالله عبدالجبار في التيارات عن أحد المشايخ قوله بعد صدور كتاب القصيمي: الصراع بين الإسلام والوثنية: لقد دفع القصيمي مهر الجنة ولن يصرئه ما يعمله بعد ذلك فلا يطاوله رأس إلا رأس ابن تيمية.

(٢) ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٣) ص ١٦٤.

والتزوير التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله. الخ^(١).

منهج السعدي في رده.

سعى السعدي في مقدمة كتابه إلى «عدم إنكار ما في كتاب القصيمي وكلامه من المعانى الصحيحة المطروقة التي لم يزل أهل العلم يقولونها ويُيدوّنها من الحث على تعلم العلوم وفنون الصنائع النافعة وما فيه من ذم الجهل وأثاره الضارة، وما فيه من تأثر المسلمين في الفنون العصرية وما فيه من وصف تفوق غيرهم في فنون المادة..»^(٢)، لكنه أشار إلى أن القصيمي مسبوق في هذه الأفكار، بل سبقه إليها أهل العلم، وقالوا أكثر مما قال، ولم يبين «هذا الرجل» - كما وصفه^(٣) - ما بيته ولا شرح الداء الذي أصاب المسلمين حقيقةً ولا كيفية الدواء ..

ومن الواضح أن غضب الشيخ تجلّى شكلاً في وصفه بـ«هذا الرجل» وـ«هذا القصيمي» واعتماده الضمير الغائب حيناً مثل قوله: (واعلم أن مدار بحوثه الباطلة ...)^(٤) والمستر حيناً كما في: (وقد سلك أيضاً مسلك الدهريين ...)^(٥) وتكرر هذا في مواطن كثيرة من الكتاب تقليلاً من شأن القصيمي وترفعاً عن تكرار ذكر اسمه، كما تعددت أساليب الذم بحق القصيمي: (فيما ويع هذا الكاتب القصيمي

(١) ص ١٦٦.

(٢) ص ١٦٤.

(٣) ص ١٦٥.

(٤) ص ١٦٩.

(٥) ص ١٧٣.

...) وقوله: (وملأ كتابه من هذه المواضيع الخبيثة والوقاحة والجراءة التي لم يرتكبها غيره...)^(٢).

وقد يرى المحايدون في مثل هذا الأسلوب خروجاً عن الموضوعية وإسرافاً في الاستدعاء والاستعلاء، لكن مقارنته بما صنعه معاصره السعدي والقصيبي وقت صدور كتاب الأغلال سيجدون أن السعدي كان أقلَّ حدة وأكثر موضوعيةً من ردوا عليه من المشايخ وعلماء الدين؛ فالشيخ عبد الله بن عبد الله ابن يابس ١٣١٣-١٣٨٩ هـ صرَّح بموقفه الصدي عبر عنوان كتابه الصادم والصارم في آن واحد:

(الرد القوي على ملحد القصيم - مطبعة الإمام - عابدين - القاهرة - ١٩٤٧ م)
وكذا ورد في عناوين أخرى لمعظم من ردوا عليه من الجزيرة العربية تحديداً، ومنها:

* * بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال - الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز السويف النجدي ١٣٢٧-١٣٦٩ هـ - المطبعة السلفية - القاهرة - ١٩٤٩ م

* * تشخيص أخطاء صاحب الأغلال الرئيسية وبيان ما دلت عليه من الإلحاد والمذاهب الإباحية مع قصائد للشيخ راشد بن خنين ١٣٤٤-١٤٣٥ هـ والشيخ صالح بن سحمان ١٣١٩-١٤٠٢ هـ والشيخ صالح العراقي «لم أجده تأريحاً لمولده ووفاته» وتقريره الشيف عبد العزيز بن باز ١٣٣٠-١٤٢٠ هـ - مطبعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة - ١٩٥٠ م.

(١) ص ١٧٤.

(٢) ص ١٧٦.

* * الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على ما فيه من زيف وكفر وضلال:
 الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ١٣٩٢-١٣٠٨ هـ - الناشر: عبد الله محمد بابا
 الشنقيطي.

وثمة ردود أخرى للشيخ محمد بن مانع ١٣٠٠-١٣٨٥ هـ، والشيخ زيد بن فياض ١٣٥٠-١٤١٦ هـ والشيخ عبد الظاهر أبي السمح ١٣٠٠-١٣٧٠ هـ والشيخ تقى الدين الهلالي ١٣١١-١٤٠٧ هـ لعله كتبه خلال وجوده في مكة المكرمة والمدينة المنورة» وعنوانه: (مظهر الضلال في كتاب الأغلال) ولآخرين.^(١)

ولعل ما يُحمد للسعدي عدم حكمه بکفر القصيمي -عبارة صريحة متوجهة نحو شخص القصيمي بصورة غير ملتبسة- وإن ضمَّن كتابه ما يوحِي بکفر نصْه، وجميل منه الفصل بين الشخص والنَّصْ، ولعله كان يأمل من عدم القطع بکفره أو إلحاده فتحَ الباب أمامه للمراجعة والتراجع، بل إنه دعا له بالهداية حيث كتب: «.. وإلا فوالله إننا لنأسف أشد الأسف على انقلاب هذا الرجل، ونعد ذلك من الخسائر علينا، حيث فقدنا هذا الرجل الذي مضى له من المقامات ونصر الحق ما لا ينكر.... ونسأَل الله أن يرده إلى الحق، وأن يعيده إلى الإسلام بالتوبة والتنصل مما وقع منه، وأن يكتب كتاباً في رجوعه عن هذه المباحث الخبيثة ...»^(٢).

أبرز مواضع رد السعدي:

في مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (طباعة مؤسسة الأميرة العنود) المجلد السادس ورد مع كتاب "التنزيه" عدة ملحقات،

(١) (عبد الله القصيمي: حياته وفكره - عبدالله القفارى - مركز المحرورة - ط الأولى - ٢٠١٢ م -

ص ١٠٠

(٢) ص ٢٠٧

وفيها رسائل صغيرة، ويبينها: (كشاف للمسائل الخبيثة والمباحث الخطيرة في كتاب الأغلال) ضم سبعاً وسبعين ملاحظة أو جزءها السعدي في رده على كتاب القصيمي، ابتدأت من صفحة ١٤ في «الأغلال» حتى صفحة ٣٢٨، واستغرقت الصفحات ٢٤٨-٢٣٨ في المجموع - الجزء السادس.

أما كتاب (هذا هي الأغلال) فقد جاء في ٣٥٣ صفحة - طبعة دار الجمل المصورة من نسخة قديمة تختلف في ترقيمها قليلاً عن إشارات السعدي في مجلمل ملاحظاته.

ويلاحظ على الشيخ السعدي أنه لم ينقل كلام القصيمي بنصوصه الكاملة بل أشار إلى مضامينها والصفحات التي احتوتها بشكل مجلمل، ولو أورد مقولات القصيمي كما جاءت وإجاباته عن كل منها لكان العمل أكمل، وقد لخص رؤيته عمما طرحة القصيمي بقوله:

«.. فتراء في مطاوي كتابه يعتذر ويدعى أنه مؤمن بالله ورسوله وبريء من الإلحاد؛ أفيظن أن الناس يقيمون لاعتذاره وزناً، وكيف تقع اعتذاراته الطفيفة التافهة في جانب حملاته الشديدة على الدين والبحث البليغ على نبذه، وعلى سلوك طريق الملحدين؟ كيف يُقبل اعتذار من هو مجد مجتهد في هذه المواضيع الخبيثة الباطلة؟ فهل هذا إلا من باب السخرية والتمويه على الأغرار؟». ص ١٦٩.

وقد ركز الشيخ في ردوده على محاولة إبطال نظرية القصيمي ومدارها - كما كتب السعدي - أمرتين:

الأول: تأثر المسلمين عن غيرهم في الفنون العصرية والاختراعات والصناعات الراقية وعلوم الطبيعة بأنواعها.

الثاني: أن غيرهم ماهر في هذه الأمور مهارة لا تتصورها الأفكار.

ولم يختلف السعدي عن القصيمي في صحة هاتين الفرضيتين في زمانهما، لكنه أخذ عليه إهماله تأريخ الأمة العريض الذي شهد بفضلة المنصفون من الأمم الأخرى، ثم استنتاجه أن تغيير الوضع يتطلب «رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأخلاق وعلوم وأعمال، وقرر في كتابه أن» الدين الإسلامي أغلال وقيود تقيد الإنسانية عن التقدم والارتقاء في مدارج الكمال» ص ١٦٩ - ١٧٠.

وعلى أي حال؛ فيمكن إيجاز ملاحظات الشيخ الواردة في ملحق «الكشاف» المطبوع ضمن الكتاب في مجموع مؤلفات الشيخ السعدي بما يلي:

- التهكم بالمصلحين الذين يقولون: إن رقي المسلمين ينحصر في الرجوع إلى تعاليم الدين.
- الحديث عن أعاصر رجعية مجنونة تهب على مصر وطلب منع هبوبها.
- قوله: إن كل الذين صنعوا الحياة، وصنعوا لها العلوم والأساليب المبتكرة العظيمة هم من أولئك الموصوفين بالانحراف عن الدين والتحلل منه.
- قوله: طبيعة المتدلين طبيعة فاترة، ولا تجد أعجز ولا أوهن من الذين يربطون مصيرهم بالجمعيات الدينية.
- قوله: إن المسلمين يريدون كل شيء من السماء من الآلهة المتعددة.
- بهرجته - كما قال - في نقل كلام الزمخشري والرازي والأمدي وابن الحميد في حيرتهم ونسبة هذه الحيرة إلى الأمة الإسلامية كلها.
- تهكمه بمن يذم أرسطو وقوله: إنهم الذين وضعوا اللبنات الأولى للحضارة التي قامت عليها المدنيات ساقاً بعد ساق.
- تساؤله عن أسباب كفر الإنسان بإنسانيته وبريره ذلك لأنه أراد أن يؤمن بالله الإيمان الذي تصور قيامه على التفريق بين الخالق والمخلوق أو بين الله وعباده.
- قوله: إن الديانات كلها مبنية على العبودية.

- تحريفه لحديث ”كنت سمعه الذي يسمع به...“.
- تحريفه لتفسير قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ - [الكهف ٥١].
- تحريفه مدلول حديث: ”كل مولود يولد على الفطرة“.
- إنكار عقوبات الله الدنيوية.
- تسخيفه الخطباء والعلماء والوعاظ وجميع رجال الدين لذمهم الإنسان، وأنه لا يترقى إلى مزاحمة رب العالمين ومنازعته في علمه وقدرته.
- وصفه الثقافة الدينية بالثقافة الخبيثة القاتلة، وقوله عن رجال الدين الذين يدعون إلى الكفر بالإنسان إنهم مجرمون.
- تفسيره الخاطئ لحديث: ”من عرف نفسه عرف ربه“.
- التهكم بمن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الإنكار على من قرأ كتاب الأوائل.
- انتقاد قوله عليه الصلاة والسلام: ”أكثر أهل الجنة البُلْهُ“.
- إنكاره على المسلمين المحذرين من كتب ابن الهيثم وجابر بن حيان والرازي والكندي ونحوهم.
- رميء المسلمين بالتعصب.
- الانتهاص من صرف الوقت في العبادة مقابل الاشتغال بالعلوم.
- تفسيره الخاطئ لآية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْزٌ لَكُمْ﴾ [البقرة ٢١٦].
- تفضيل عقول الملاحدة على عقول المسلمين.
- رأيه في المرأة ونقله لأراء المطالبين بسفورها.
- تكذيبه لأنس رضي الله عنه وغيره في طواف الرسول صلى الله عليه وسلم على نسائه بغسل واحد.

- حمله على المسلمين في نقل أحاديث الزهد الحاثة على الصبر والفقر.
- ندمه على أحواله الماضية حال الاستقامة.
- إنكاره العين والنظرة وحديثه عن الأرواح رغم إيمانه بها.
- تهكمه بحديث أنس: (لا يأتي عليكم زمان إلا والذى بعده شر منه).
- عجز المتدلين عن أن يهبو الحياة شيئاً جديداً أو أن يكونوا فيها مخلوقات متألقة.
- التهكم بالآخرة.
- ثناؤه على أوربا.
- نقله عن بعض الفلاسفة الملحدين رأيهم في أن الإيمان أكبر نكبة على البشر، لأنه وقف بالحضارة عن التقدم مع أنه تبرأ من الإلحاد.
- قوله: إن المتدلين يفقدون الميزان الفكري ويصبحون أناساً طيبين خيرين فاقددين لكل صناعة عقلية.

وقد تجاوز الباحث التفصيل في شرح هذه النقاط التي أسهب السعدي في شرحتها وكانت مدار كتابه وملحقاته، كي لا يتزلزل البحث وبخاصة أنها مفهومة بخطوطها العريضة وكافية بعنوانها الرئيسة ولن يضيف إليها التفصيل تأصيلاً. وفي المحصلة؛ فمعظم ردود الشيخ تدور حول هذه النقاط ومشابهاتها على أنه في آخر فقرة في هذا المسرد (الكساف) أشار إلى أن القصيمي قال عن الدين وأحسن بعض الإحسان ولكن هذا الاعتذار لا يفيده عند الناس شيئاً.

والملاحظ أن الشيخ مثلما رد في كتاب التنزيه، فقد سبقه ولحقه: (رسالة الشيخ السعدي إلى تلميذه ابن عقيل، وكشاف للمسائل الخبيثة والباحث الخطيرة في كتاب الأغلال، وجواب مختصر عن حقيقة كتاب القصيمي، وجواب مجمل مطول عما احتواه كتاب الأغلال من الضلال، ونبذة جامعة مفيدة مختصرة

في التحذير من كتاب ”هذا هي الأغلال“، وكذلك: مقدمة كتاب مظهر الضلال في الأغلال للشيخ تقى الدين الهلالي بخط الشيخ السعدي، وقد جمعت في كتاب حققه الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة، وقدم له الشيخ عبد الله ابن عقيل، كما ضمها المجلد السادس من مجموع مؤلفات الشيخ السعدي في صفحات ١٦٣ - ٢٣٨) وكأنه كان معنِّياً بإيصال تحذير شمولي لمن يقرأ الكتاب على اختلاف مستوياتهم العلمية والاجتماعية كي يكونوا على يقنة مما فيه من ”افتراضات“، ولعل صدمة الشيخ بمن عهده شيئاً فاضلاً منافقاً عن السلفية فخرج عليها جعلته ينوع الردود فبدأ ”التزئيه“ ”تنزيهات“، والرد ردوداً، والحقيقة مطلباً من جانبٍ واحدٍ، فلم يؤثر عن القصيمي بعد الأغلال أى كتابٍ زمن حياة السعدي.

هل صمت القصيمي فلم يرد؟

لم نجد للقصيمي ردوداً منشورةً على من تناولوا كتابه قدحاً، ومنهم الشيخ عبد الرحمن السعدي، وإن كان آخرُون قد تولوا تقريره كتاب ”الأغلال“، والثناء عليه، والترويج له، وبخاصة من مصر ولبنان، وإن لم يخلُ من معارضين فيهما، ولعل مرد صمت القصيمي - في رأي الباحث - أربعة عوامل:

الأول: وقوفه حينها في منطقة الـ ”بين بين“؛ فالرغم من انقلابه على سلفيته، إلا أنه لم يهدم الجسور معها، وهو ما دعا السعدي إلى عدم تكفير شخصه بشكل صريح ولم يصمه بالإلحاد كما ورد من سواه (الشيخ اليابس مثلاً..).

الثاني: خشيته من ردة الفعل الحكومية ”الرسمية“ حيث قطعت الإعانة عنه بأمر الملك عبد العزيز وأحيل مرتبه إلى الشيخ عبد الله اليابس“ مكافأة له وتشجيعاً لمنافحته عن الدين ...“.

الثالث: ما رُوي من إباحة دمه بفتوى من أحد أكبر المشايخ (لم أجده نصّها)،

ويُتداول اسم شخصٍ سعودي معروف ذهب إلى مصر من أجل قتل القصيمي،
والتحق به دون أن يعرفه ثم عاد عن عزمه بعد اللقاء^(١).

الرابع: رفض الملك عبد العزيز محاولات التوسط للقصيمي مالم يعد عن
آرائه؛ «فمن المستحيل أن نرضى عن المذكور إلا إذا رجع إلى الصواب وخطأ
نفسه..» مع أن القصيمي رفع الكتاب «أي أهداه» إلى: «باعت العرب ومقيم
دولتهم الملك عبد العزيز آل سعود»^(٢).

ومن الثابت أن القصيمي لم يتراجع، لكنه مال إلى الصمت وجعل غيره في
مصر ولبنان ينافحون عنه، ومنهم: (الشيخ محمود شلتوت، إسماعيل مظهر،
عباس محمود العقاد، أحمد حسين، أمين الخلوي، مصطفى عبدالرازق، حسن
القياكي، أنسى الحاج وآخرون...)^(٣)

وفي المجمل فقد توقف القصيمي عن التأليف، غير أنه كتب مقالات فلم يُعهد
له مؤلفًّا مستقلًّا حتى عام ١٩٦٣ م.

هل رفض السعدي الالتفقاء بالقصيمي؟

أبعد القصيمي من مصر إلى لبنان بقرار سياسي أليس رداء قضائياً، فغادر
القاهرة في صيف ١٩٥٤ م وتحديداً في الثلاثين من شهر يوليو "تموز" الموافق
(١٢/١٣٧٣ هـ) إبان وجود الشيخ السعدي هناك حيث قدم قبله بأقل من
أربعة أسابيع وذلك في الثالث من شهر ذي القعدة عام ١٣٧٣ م (١٣٧٣/٧/٤) (١٩٥٤ م).

(١) تسب للشيخ محمد بن إبراهيم ١٣١١-١٣٨٩ هـ (١٨٩٣-١٩٦٩ م).
قيل إنه الأستاذ فهد المارك ١٣٣٠-١٣٩٨ هـ (١٩١٠-١٩٧٨ م).

(٢) (هذا هي الأغالل ص ٥)

(٣) (الفقاري ص ١١٥-١٢١)

للاستشفاء في مستشفى الجامعة الأميركية بيروت وإقامته للنقاوه في "عالیه" ، وقد تواصل القصيبي مع السعوديين هناك ، بل إنه لجأ أول مقدمه إلى شاب من أهالي عنیزة كان يعمل في السفارة السعودية^(۱)، وهو الذي رتب له أمور سكنه ومعيشته الأولى ، كما اتصل بآخرين ومنهم الشيخ إبراهيم الحسون (١٣٣٠-١٤٢٥هـ) كما ورد في سيرته المطبوعة (خواطر وذكريات) ، ولم يكن غريباً أن يعرف القصيبي بوجود السعدي ، لكن الرواية الذاخنة تؤكد أنهما لم يلتقيا ، ولكن : هل تم ذلك قصدًا؟ وهل كان القصيبي يحتاج إلى استئذان ، والكل مجمع على توافع السعدي وبساطته ، ومرافقه اللذان قدما معه من المملكة هما ابنه محمد ورفيقه صالح العباد (أبو عبود) - وكان الشيخ يأنس به ، ويصحبه في أسفاره - وثمة أصدقاء آخرون ارتأدوا مقر إقامته هناك فلازموه-^(۲) وهل تهيب القصيبي لقاء الشيخ أو توسط بعض من يعرف علاقتهم بالشيخ فاعتذر؟

الرواية المتداولة تفترض أن الشيخ اعتذر لا صدّاً لقاء بل لأن مقامه هناك مخصص للعلاج لا أكثر ، وعلى نفقة الدولة التي لم تكن راضية عن القصيبي كل الرضا وإن لأن موقفها تجاهه في ذلك الوقت حتى إن السفارة السعودية عارضت نفيه إلى لبنان دون تبيان الأسباب (القفاري ص ١٢٧) ، ولعل الشيخ - في مرضه - لم يكن يود تعكير صفو صحته التي تعاني من ارتفاع الضغط وتصلب الشرايين ، والجدل في مثل حالته سيصبّها بانتكاسة ، وهذا استنتاج من الباحث لم يسمعه قبلًا ، والرواية صحيحة إجمالاً، إلا أنه لم يثبت أن القصيبي طلب الالقاء بالسعدي ، وما الظن أنه علم بوجوده هناك؟ فقد غادر الشيخ السعدي لبنان بعد عيد الأضحى وكان

(۱) روى أنه الأستاذ صالح الحميدي

(۲) عدّ الشيخ منهم في رسالة لابن عقيل : عبدالعزيز العوهي و زامل و عبد العزيز العلي و عبد الرحمن المنصور و عبد الرحمن الحمد المنصور و عبد العزيز الكعبي .

يتمنى مغادرتها قبل ذلك ليتمكن من أداء مناسك الحج، غير أن الطائرة الموكول إليها نقله إلى الوطن لم تتيسر وفق رسائل الشيخ السعدي التي بعث بها لتلמידيه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل والشيخ عبدالله بن محمد العوهلي، وفيها وفي سواها ما يقرر أن الشيخ مكث في مستشفى الجامعة الأميركية خمسة أيام ثم أقام في «عليه» شهراً أو نحوه (لمتابعة العلاج وانتظار الطائرة) أي أن الأيام التي جمعت السعدي والقصيمي في لبنان - بما فيها من انتظار - لا تزيد على خمسة عشر إلى عشرين يوماً في الأرجح، ويدو أن فكرة اللقاء نبعت من بعض أصدقاء الشيخ حين دار الحديث حوله، وربما اقترح بعضهم التقائهم دون أن يعطي الشيخ الأمور أهمية؛ فقد جاء لهدف محدد وأيام مكثه المتبقية معدودة لاستعجال الشيخ العودة، وحرصه على أداء نسك الحج الذي حال دونه انشغال الطائرة خلال موسم مزدحم كما سلف، إضافةً إلى أنه لم يكن من المتوقع أن يحاوره الشيخ فقد قال مالديه في كتابه وملحقاته ولم يعهد عن الشيخ جدلياتٌ كتابية أو شفافية، ويدو أن كتابه عن القصيمي هو

الرد الوحيد الذي ألفه متوجهًا نحو شخص معين باسمه ووسمه.^(١)

(١) نشرت صحيفة البلاد في عددها الصادر يوم الخميس ١٨/١٣٧٤ هـ / ١٦ سبتمبر ١٩٥٤ م ضمن أخبار أخرى من عنيزه: (عاد من لبنان بعد انتهاء علاجه هناك فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وكان قد سافر إليه متذمدة للعلاج فنرحب بمقدم فضيلته).، ونشر الخبر بهذا التاريخ لا يعني وصوله في التوقيت نفسه لتأخر النشر حينها أيامًا قد تصل إلى أسبوع، وربما توقف الشيخ قبل وصوله إلى عنيزه في الرياض أو الشرقيه بعدهما تعذر عودته عن طريق جدة وقت الحج كما أوضح في بعض رسائله: (.. لعل يكون طريقنا على جدة إن صار معنا سعة وقت للحج، وناسب السفر إلى هناك أو على طريق الظهران على الرياض لأن البريد إليه متصل في الأسبوع مرتين ...).
الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز ابن عقيل : سيرته الذاتية وأهم مراسلاته - الجزء الثالث - ص ١٠٧.

خاتمة

لو نشر القصيمي كتابه (هذا هي الأغلال) في فترة متأخرة عن وقت نشره (١٩٤٦م) ل كانت ردود الفعل أهدأ، إذ كثير من موضوعاته الخلافية أو الاختلافية مطروقة اليوم بصورة لا تثير ضجيجاً كالذى حصل له، وربما اقتصر الحوار حول تفسير بعض النصوص، وجزمه بظنونه، واستهزائه القاسي بالمتدينين، لتبقى قضيائنا دراسة العلوم الحديثة والموقف من الفلسفه والمتكلمين ونعيه تأخر الأمة وبحثه عن طرق الخلاص ونحوها قابلة للحوار الهدائى.

وقد بدا من رد السعدي عليه بعض نقاط مهمة يمكن إجمالها فيما يلى:

** لم يكفر السعدي القصيمي بشخصه وإنما بنصوصه ودعاه بالهدایة كما استعاد ماضيه الإيماني المستقيم.

** افترض السعدي عمل القصيمي لصالح جهات أجنبية، وهو افتراض لم يثبت في حينه ولا بعد ذلك.

** خشي السعدي تأثير أفكار القصيمي على من ليس لديهم علم بالدين ولا بتاريخ القصيمي السلفي فحرر الكتاب وملحقاته.

** لم يكن السعدي هادئاً ولا مهادئاً في ردوده حين أبدى رغبته في عدم فسح الكتاب، كما كان إيراده لاسم القصيمي غير مجاملٍ ولا فکاره غير مجادل لرفضه معظم منطلقات القصيمي ورؤاه، غير أن مقارنته بردود سواء تمنحه سماحةً لتسامحاً.

** يتوقع الباحث أن لو التقى بعض العلماء كالشيخ السعدي بالشيخ القصيمي وحاوروه بمنهجية موضوعية وهدوء ولم يكفره معظمهم ويستعدوا

عليه السلطة الدينية والسياسية ويتسبّبوا في حجب أعطياته وبعث من يغتاله لربما تغيير نهج القصيمي أو توازن مساره، ولا سيما أن قدرات المديرية الإدارية بمستشفى فلسطين في القاهرة للصحافة قليل موتة أنه كان يقرأ القرآن الكريم سراً ويتحدث عن مراقبة الله لمن في الأرض ودعائها لمن يسير عليها، وقد يوحى هذا - إن صح - بوجود صراع داخل نفسه القلق عادت به وقت شدته إلى فطرته ونشأته.

* * يتساءل الباحث عن سبب صمت القصيمي عن الردود على معارضيه؛ فهل اكتفى بمن أيدوه في مصر ولبنان؟ أم خشي زيادة الغضب عليه وبخاصة أنه لم يستجب لطلب الرجوع عن آرائه كي تعاد استحقاقاته، مع أنه حكم عن تأله من بعض الردود وبخاصة رد الشیخ عبد الله اليابس الذي كان صديقه ومساكنه أيام دراستهما في مصر، ومن ثم : هل تحفظ الصحف اللبنانية والمصرية «تحديداً» بما ينفي هذا الصمت؟

مصادر البحث^(١).

- إبراهيم بن عبد الرحمن التركي، فواصل في مآذق الثقافة العربية ، مآذق الابتسار، ص ٢٩٩-٣٠٤ ، دار بيisan - لبنان ، ٢٠١١ م
- بلال بن محمود الجزائري، الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز ابن عقيل، سيرته الذاتية وأهم مراislاته، الجزء الثالث، الرياض ، دار الصميسي للنشر والتوزيع ١٤٣٢ هـ
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراء القصيسي في أغلاله ، مجموع مؤلفات الشيخ ، المجلد السادس ، ص ١٦١-٢٤٨ ، مؤسسة الأميرة العنود بنت عبدالعزيز ابن مساعد ، الرياض ، ١٤٣٢ هـ م .
- عبدالله بن عبدالعزيز ابن عقيل ، الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعية ، دار ابن الجوزي ، الرياض - ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
- عبدالله القصيسي ، هذى هي الأغالل ، منشورات الجمل ، كولونيا - ألمانيا - ٢٠٠٠ م
- عبدالله بن سليمان القفاري ، عبدالله القصيسي: حياته وفكره ، مركز المحروسة ، القاهرة ، ٢٠١٢ م.
- أحاديث مع الأستاذ مساعد العبد الله السعدي مع بعض الأوراق والوثائق من مكتبته الخاصة.

(١) قراءات سابقة في كتابات حول الشيختين دون استشهاد مباشر ، ومنها : خمسون عاماً مع عبدالله القصيسي ، إبراهيم عبد الرحمن ، دار جداول - بيروت ، ٢٠١٥ م خواطر وذكريات ، إبراهيم بن محمد الحسون ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، ٢٠٠٣ م القصيسي بين الأصولية والانشقاق ، يورغن فازلا ، دار الكنوز الأدبية - بيروت ٢٠٠١ م من حكايات الشيخ عبد الرحمن السعدي ، إبراهيم التركي ، دار بيisan - لبنان ، ٢٠٠٦ م